

الدرس الخامس: المقاومات المحلية للاحتلال الروماني.

واجهت روما منذ بدايات احتلالها لشمال أفريقيا، وخلال مراحل توسعها مقاومات متعددة، واجهت روما ورفضت الانصياع لسياستها، فكانت البداية مع سيفاكس الذي تحالف مع قرطاج وحارب الرومان بعد أن رأى أطماعهم، ثم جاء يوغرطة مع نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، وصولاً إلى يوبا الثاني في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد، وقد استمرت هذه المقاومات والثورات حتى بعد أن سيطرة روما على شمال أفريقيا ومن هذه الثورات نبرز:

1- ثورة تاكفاريناس 17-24م: تكفاريناس هو أحد أبناء منطقة الأوراس، ينتمي إلى قبيلة المزالمة نشأ في أسرة نبيلة، كان غيوراً على وطنه مخلصاً لأُمته، شجاعاً وصنديداً، يتميز بشخصية حربية ممتازة، أهله بأن يسطع نجمه إلى الأفق، عمل كمساعد في الجيش الروماني. تعود ثورته لجملة من الأسباب منها وجود الاستعمار الروماني وما ترتب عنه من سياسة قهر واستغلال وسوء معاملة النوميديين، وقيام الغزاة بتهجير السكان وإجلائهم عن أراضيهم وممتلكاتهم بهدف تثبيت وجودهم في بلاد المغرب على حساب البربر، بناء الطريق المحصنة " الليمس الأول" الذي يربط بين خليج السرت شرقاً ومعسكر حيدرة بالقرب من تبسة غرباً، حيث عسكرت الكتيبة الثالثة الأوغسطية وكانت هذه الطريق تشق الأراضي التي ينتجع فيها المزالمة فعرقلت تحركاتهم، شعور البربر بضرورة تحرير بلادهم من اطماع الرومان التوسعية في بلاد المغرب القديم، احتكار الرومان للوظائف العليا...

مرت ثورة تاكفاريناس بأربعة مراحل حقق فيها الرجل انتصارات كثيرة على الجيوش الرومانية قبل أن ينهزم في سنة 24م ويمكن تلخيص هذه المراحل في:

- المرحلة الأولى (17-18م) واجه خلالها البروقنصل فريوس كاميلوس.
- المرحلة الثانية (18-21م) واجه خلالها البروقنصل ل. أمبرونيوس.
- المرحلة الثالثة (21-23م) واجه خلالها بيليزوس.
- المرحلة الرابعة (24م) واجه خلالها دولابيل.

2- ثورة إيديمون 40-44م: في مقاطعة موريتانيا القيصرية بعد اغتيال بطليموس، حيث أراد هذا القائد الانتقام للملك بطليموس وتأكيد وفائه للرجل، فحصل هذا القائد على دعم المزارعين والقبائل البدوية اللذين حرمتهم روما من المراعي بعد أن وسعت حدودها، فسارعت روما لوقف الثورة وتشكلت الفرق العسكرية في ويلي بقيادة فاليرسوس سفيروس، وكتيبة مقدونيا

الرابعة، وجيمينا العاشرة، لتتمكن أخيراً من القضاء على هذه الثورة، تركّزت العمليات العسكرية في سهل شلف والونشريس، وتمكّن إيديمون من تحرير مدن السهل السفلي يلل وغليزان و جديوية من بوقادير بمساعدة القبائل المورية، وتوسّعت هذه الثورة غرباً حتى وادي تافنة ومنطقة ويلي بموريطانيا الطنجية، وهذا ما تثبته المؤشرات الأثرية أنّ مدينتي ليكسوس وتامودة قد تعرّضتا للحرق والدمار النهائي من طرف ثائر إيديمون.

استمرت تلك الثورة لأكثر من عامين وتمكّن الرومان من القضاء عليها بعد أن تخلت عنه قبائل في موريطانيا الطنجية وخاصة ويلي التي أعلنت مدينتهم مدينة رومانية سنة 44 م، أمّا زعيم المقاومة إيديمون فيكون قد قتل مع مساعديه المقربين منه ولكن في ظروف لا نجد عنها شيئاً في المصادر التاريخية التي فضلت الحديث عن احتفالات النصر التي أقيمت في روما أين ظهر قائد الحملة الرّومانية على موريطانيا كراسوس فروغي وهو يعتلي صهوة جواده ويرتدي الحلة التي خلّعت عليه من قبل الإمبراطور كلاوديوس.

3- ثورة سيسكا 253-255م: في سنة 253 م اندلعت مقاومة عنيفة في كل إفريقيا، التي أخبرنا عنها القديس كبريانوس من خلال الرسالة التي بعثها، لجميع الكنائس آنذاك لجمع أموال الفدية لإطلاق صراح الرهينات المسيحيات لدى الثوار، كما سخرت روما إمكانيات عسكرية كبيرة للقضاء على هذه الثورة، وقد كلفت حاكم موريطانيا القيصرية بملاحقة الثوار وعززته بالفرق العسكرية الأجنبية، كما تمّ استدعاء الفرقة العسكرية تنس، ورغم كل هذه التعزيزات فإنّ الثوار بقيادة سيسغا حققوا عدة انتصارات قبل أن يتمكن فالريانوس من الانتصار على الثوار سنة 255م.

4- ثورة فيرموس: 372-375م: كانت ثورته في الونشريس التي كانت تستوطنها مجموعة من الأهالي المغازيكس، وعندما أدرك ثيودوز أنّ فيرموس يتحايّل لربح الوقت، فأسرع إلى تيبازة واستقبل وفد قبيلة المغازيكس المرابطة بالونشريس وأخبرهم بأنّه سيقود جيشه ضدهم بسبب مساندتهم لفيرموس.

انتقل ثيودوز من تيبازة إلى شرشال حيث كلف الفرقة التراكية الأولى والثانية بمرافقته ثم تقدّم ثيودوز جنوباً إلى تيغافا أو الخربة ثم إلى الشلف حيث التقى بالمغازيكس وقتل كل من لم يستطع الفرار منهم، ثم تعقب قوات فيرموسا شمالاً إلى مليانة فوصله خبر تحالف مجموعة من قبائل الموزون مع أخت فيرموس، كانت وعدت تلك القبائل المورية بمكافأتها في

حالة وقوفها إلى جانب أخيها، فأثارت تلك القوة الرعب في أواسط الجيش تيودوز ودفعته إلى التراجع جنوباً إلى قبيلة مغازيكس بعد أن أقدم جموع الأهالي الغاضب على انتقامهم من العنصر الروماني، فقرّر اللجوء إلى سلاح آخر وهو المال وتمكن بهذه الوسيلة من تجنيد العدد الهائل من المور في صفه ووعدهم بالأمان والمكافأة إن هم تخلوا عن فيرموس. في تلك الأثناء التجأ فيرموس إلى أحد أهم حلفائه وهو إيغماسن بجبال التيطري واستجمع قواته من جديد بمساعدة أخيه مازوكا وأرسل موفدين إلى القبائل النوميديّة طالباً تكثيف الهجوم على المراكز العسكرية والمعمرين وأعوانهم لتفريق جموعها. وأخيراً انهزم فيرموس وحاول الهرب لكن إغمازن تمكن من القبض عليه، ولكن انتحاره حرم هذا الأخير من شرف تسليمه حياً لتيودوز الذي بعدما تأكد من جثة فيرموس عاد إلى سطيف.

بعد مقتل فيرموس لم يستقر الأمر للرومان فظهر جيلدون شقيق فيرموس وجدد الثورة ضد الرومان سنة 398م، بدعم من الدوناتيين في مقاطعات شمال أفريقيا الرومانية...

مراجع حول الدرس:

- 1- مصطفى خاتمي: "قبائل الونشريس ودورهم في المقاومات خلال الفترة الرومانية (40-284م)"
- 2- خديجة منصوري: "ثورة إيديمون واضطرابات القرن الأول بموريطانيا القيصرية"
- 3- بن رحال يمينة: "مقاومة الأوراس لاحتلال الروماني ثورة تاكفاريناس نموذجاً 17-24م"
- 4- عبد الحميد عمران: "حرب جيلدون سنة 398م ضد الرومان"